بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.

أ. تواتي حسين

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

الملخص:

هذا البحث الموسوم بـ :« الشيخ بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية » عبارة عن دراسة تحليلية استنتاجية نعالج من خلالها بالبحث والدراسة وحدة القضية الجزائرية في مقاومة الاحتلال الفرنسي لدى سكان الجنوب الجزائري بصفة عامة والجنوب الشرقي بصفة خاصة من خلال مقاومتي الشيخ بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة وذلك بالتطرق إلى سيرتهما الذاتية ومسيرتهما الثورية ،ومواقفهما من الاحتلال الفرنسي والقبائل الداعمة والمساندة له.

الكلمات المفتاحية:

بناصر بن شهرة – الشريف بوشوشة – المقاومة الشعبية – الاحتلال الفرنسي – القضية الجزائرية ,

Résumé:

Cette recherche sous l'intitulé : « Cheikh BENNACER BENCHOUHRA et CHERIF BOUCHOUCHA, deux exemples se distinguent par l'unité de l'affaire Algérienne et l'esprit national », est une étude analytique exceptionnelle qui traite par la recherche et l'étude l'unité de l'affaire Algérienne dans la résistance à la colonisation française chez les habitants du sud Algérien d'une manière générale En particulier, le sud-est pendant la résistance de Cheikh BENNACER BENCHOUHRZA et CHERIF BOUCHOUCHA, en mettant l'accent sur leurs biographies et leur position de la colonisation française et les tribus qui la soutiennent

Mots clefs : Bennacer Benchouhra- Cherif Bouchoucha – La résistance populaire – l´Occupation Française - l'Affaire Algérienne.

قاوم أهل الجنوب الاحتلال الفرنسي كما أهل الشمال منذ أن وطئت قدماه أرض الجزائر [1] ،فأهل الجنوب كما وصفهم الجنرال الفرنسي شارل فيرو(Ch Féraud) :« ... إن الرجل العربي في الجنوب يقضي كامل يومه دون الالتفات إلى الغد ... إن مستقبله الوحيد الذي يشغل باله هو ذلك الذي وعد به المؤمنون الصادقون ... وإذا دعي للجهاد نسي كل شيء: عائلته وخيمته وحطامه ،وتناول بندقيته ثم امتطى فرسه ... إن الموت بالنسبة إليه جزاء .

وشعب كمثل هذا يكون خطيرا جدا ويجب أن يقرأ له حساب ... إن العربي في جنوب الجزائر جندي وفارس بالطبع ... يقشعر جسمه لصوت البارود فيسرع إلى سلاحه ولا ينشغل بغير تفقد ذخيرته الحربية أما إلى أين يقاد فهذا أمر لا يعنيه فالمهم أنه يعرف بأنه

ينال الجنة إذا قاتل الكفار ومات ... وعند إذ لا يحده شيء ولا يقف عند حد ... يضاف إلى كل هذا إن العربي في هذه المقاطعة من بلاد الجزائر يؤمن كثيرا بتاريخ مجده وينقاد بسهولة إلى الدعوات الدينية. »[2]

يضاف إلى هذا التكوين الديني والثقافي لأهل الجنوب الرافض للخضوع لحكم الأجنبي الكافر والذي ساهمت فيه الزوايا [3] المنتشرة عبر ربوع المنطقة بشكل كبير ،فقد كانت بحق مراكز اشعاع علمي وثقافي ،وحصنا منيعا حافظ اللغة العربية والعلوم الشرعية ،كما وقفت في وجه البعثات التنصيرية.[4] وكذلك البيئة الصحراوية التي ينشأ أبناؤها على صفاء الذهن والصحة والشجاعة والفروسية والإقدام وأحداث الكر والفر في الحرب والنزال [5]. وتعلم معظمهم من مهنة الرعي القيادة والمسؤولية واليقظة الدائمة ،كما أنها مدعاة للصحة والنشاط والرياضة البدنية [6].

إن هذه الشجاعة والبسالة التي وجدها الجنرال شارل فيرو في أهل الجنوب الجزائري ،وهذه الشخصية القوية الرافضة للاحتلال الأجنبي والخضوع للكافر التي اكتسبوها من تكوينهم الديني ومن بيئتهم [7] أخرجت من بينهم رجالا أبطالا آمنوا بالجزائر وحدة موحدة وكل لا يتجزأ باعوا أنفسهم لله في سبيل الحفاظ عليها ورد المحتل عنها. ومن بين هؤلاء الأبطال الشيخ بن ناصر بن شهرة والشيخ الشريف بوشوشة الذين نذرا نفسيهما للجزائر ولاسترجاع حريتها فكانا بحق أنموذجين بارزين لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.

فمن هما هذين البطلين؟ وكيف كان جهادهما؟ وما هي الدلائل التي جعلتنا نتخذهما كأنموذجين لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الاجابة عنه في بحثنا هذا والموسوم بـ: « **بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية.**» متبعين في ذلك المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى الاستنتاجات التي تمكننا من الاحاطة بالموضوع وتحقيق الهدف المرجو من هذا البحث.

أولا: بناصر بن شهرة (1804–1884 م).

هو بناصر بن شهرة بن فرحات ولد بقبيلة الأرباع [8] عام 1804 م. كان ربعة أشقر اللون أحمر الشعر ،كثيف شعر الحاجبين يعتم مثل الأمير عبد القادر ويلبس الحايك من الصوف ،وينتعل الحذاء الطويل ،كان جده بن فرحات وأبوه بن شهرة قائدين وشيخين على الأرباع تواليا.

نشأ بن ناصر بن شهرة في جو ملؤه الحياة العربية القحة على الكرم الفروسية والإقدام وأحداث الكر والفر ،كان ماهرا في الرمي يضرب بالرصاص فيصيب مرماه ولا يكاد يخطئ ،وكان إذا حمي وطيس المعركة تلثم وأقدم على القتال. كما نشأ متمسكا بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء على الطريقة القادرية.[9] كان ضليعا بدقائق الصحراء عالما بخباياها أو كما وصفه المؤرخ الفرنسي لوي رين كان الملاح الحقيقي للصحراء.[10]

تزوج بن ناصر بن شهرة ثلاث زيجات ،كانت الأولى من بنت سلطان مدينة الأغواط السيد أحمد بن سالم والتي طلقها بعدما رفضت مرافقته إلى أعماق الصحراء أين عزم على مقاومة الاحتلال الفرنسي. وبمدينة ورقلة تزوج من بنت أحد قادتها وهو من المخادمة [11] وكانت تسمى"الياقوت" والتي توفيت بعدما أنجبت له ولدين – محمد وبن شهرة – ليتزوج من المرابطية "نوة" أخت مولاي عبد القادر الإدريسي والتي أنجبت له ولدين وثلاث بنات.[12]

إن البيئة التي نشأ بها بناصر بن شهرة ،والخصال التي شب عليها جعلته يرفض الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ البداية ،لذلك قرر التصدي له ومنعه من التوغل نحو الجنوب الجزائري بكل ما أوتي من قوة ويقول في ذلك لوي رين: « في نفطة كان بناصر بن شهرة

الذي خلف أباه كآغا على الأرباع سنة 1946 م ،يقوم منذ سنة 1951 م بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ،ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو القبائل التي رضخت لنا ... »[13]

وقد اشتهر بناصر بن شهرة بدعوته القبائل للتمرد على الاحتلال وذلك عن طريق الخطب والوعود ،وقد نجح إلى حد بعيد في عمله هذا ،وهو ما دفع بالإدارة الاستعمارية إلى تغيير ممثليهم في المنطقة واستبدالهم بموظفين آخرين أكثر طاعة وإخلاصا .[14]

بدأ بناصر بن شهره جهاده سنة 1851م ضمن قوات الثائر الشريف محمد بن عبد الله [15] الذي شن ثورة للتصدي لزحف السلطات الاستعمارية نحو الجنوب الشرقي الجزائري بعد ما بايعه أهل الأغواط وتوقرت وورقلة على السمع والطاعة وعلى الجهاد فخاض ضد القوات الفرنسية عدة معارك كان له النصر فيها ،وكبدها خسائر فادحة في العتاد والأرواح و أثناء إحدى المعارك قرب مدينة ورقلة تمكن السي حمزة – من أولاد سيد الشيخ – وقواته من التغلب على الشريف محمد بن عبد الله في شهر أكتوبر 1861م في نقوسة وحول بعدها إلى سجن الجزائر لمدة سنتين ليطلق سراحه و يبقى تحت الإقامة الجبرية.[16]

وبعد اندلا ع ثورة أولاد ثورة أولاد سيد الشيخ سنة 1864م [17] اتصل الشيخ بن ناصر بن شهرة بالشيخ سي لعلا زعيم أولاد سيد الشيخ واشترك معه في قيادة الثورة ،وكان له دور كبير في تجنيد المجاهدين من توات وشعانبة والتوارق أيضا. وفي شهر جانفي 1962م شارك في معركة عين ماضي بين أولاد سيد الشيخ وقوات الاحتلال الفرنسي والتي كانت فيها الغلبة للقوات الفرنسية الأكثر عدة وعددا.[18]

لم تثبط هذه الهزيمة من عزيمة بناصر بن شهرة في مقاومة الاحتلال الفرنسي التي نذر نفسه لها حيث وفي شهر مارس من نفس السنة – 1869 م – التقى بقوات الشريف بوشوشة وشارك معه في السيطرة على مدينة المنيعة بعد طرد قائدها الذي عينته السلطات الاستعمارية [19] ،وفي 05 ماي 1871م أصبح بناصر بن شهرة خليفة للشريف بوشوشة على حامية ورقلة بعدما استولى عليها هذا الأخير وجعلها قاعدة لثورته.[20]

وعند وصول الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر إلى نفزاوة بطرابلس الغرب اتصل ببناصر بن شهرة الذي كان كثير التردد على منطقة نفطة لتأمين المال والسلاح للمقاومة ،فالتقى به على الحدود رفقة الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت السابق الذي كان قد ابعد إلى تونس منذ 1854م ،والشيخ ابراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية بورقلة ،والشيخ محمد زروق بن سيدي صالح البسكري الذي كان له دور كبير في مقاومة الزعاطشة سنة 1949م ،وغيرهم من الزعامات التي كان لها ماض تاريخي مشرف في مقاومة الاحتلال.[21]

ومن هناك شرع الأمير محي الدين رفقة الشيخ بناصر بن شهرة في الدعوة للجهاد وتأمين المؤن والذخيرة ،وتجنيد الناس ،وذلك عن طريق مراسلة زعماء المناطق الجزائرية ومن بينهم الشيخ المقراني ،وكانت هذه الرسائل بعضها من امضاء الأمير محي الدين ،والبعض الآخر من امضاء الشيخ بناصر بن شهرة.[22] وكان من جملة هذه الرسائل حوالي 44 رسالة وقعت في أيدي القائد العسكري لناحية بسكرة ،كانت موجهة إلى كل من علي باي آغا تقرت ورقلة ،وإلى أعيان سوف والأغواط ومتليلي ومزاب والمخادمة والشعانبة ،وإلى الشريف بوشوشة وغيرهم.[23]

بعد لقائه بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر بدأت مرحلة جديدة من مقاومة بناصر بن شهرة الذي استقر رفقته بعين صالح على رأس قوات من ثوار الجنوب الشرقي ،وهناك اجتمعا مع قوات الشريف بوشوشة وقوات سي الزبير من أولاد سيد الشيخ [24]،ومن هناك شنت هذه القوات هجومات على القوات الفرنسية تمكنت على اثرها من السيطرة على توقرت وورقلة ونقرين وتبسة ،مستغلين انشغال القوات الاستعمارية بمواجهة مقاومة المقراني والشيخ الحداد .[25]

وبعد استشهاد المقراني وأسر الشيخ الحداد كان للشيخ بناصر بن شهرة دور كبير في مساعدة آل المقراني على الدخول إلى الأراضي التونسية هروبا من بطش المستعمر.[26]

وبعد انسحاب الأمير محي الدين إلى تونس اثر هزيمته أمام قوات الجنرال بوجي بوادي الحميمة في 26 مارس 1971م ،وأسر الشريف بوشوشة بالقرب من عين صالح سنة 1874م [27] وتفرق أغلب قواتهما بقي الشيخ بناصر بن شهرة لوحده يناوش القوات الاستعمارية انطلاقا من الجريد ونفزاوة قبل أن يلجأ إلى تونس التي غادرها مرغما من طرف باي تونس إلى بيروت في 2 جوان 1975م رفقة الشيخ الكبلوتي ،وفي بيروت استقر بجوار الأمير محي الدين حتى وفاته سنة 1884م عن عمر ناهز الثمانين سنة.[28]

ثانيا: الشريف بوشوشة (1839–1874م).

هو محمد بن التومي بن إبراهيم الملقب بـ: بوشوشة ولد ببلدة الغيشة بالقرب من آفلو حوالي 1839م حسب الدكتور أبي القاسم سعد الله[29] ،وحسب الدكتور يحي بوعزيز فإنه ولد حوالي 1826م أو 1827م ،وهذا مذهب إليه أيضا محمد الأخضر السائحي.[30] لقب ببوشوشة لكثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة فيه ،يحتمل أن يكون أهله قد شاركوا في مقاومة الأمير عبد القادر. نشأ بوشوشة في البادية ومارس مهنة رعي الغنم ،وهي مهنة تربي على المسؤولية واليقظة الدائمة ،يكون ممتهنها دائم الصحة والنشاط ،كما تعلم الفروسية والشجاعة من أجداده [31] ،تزوج من عائلة أولاد سيد الشيخ ،وهي الزيجة التي استغلتها بعض المصادر الفرنسية لتأكيد ما وصفت به الشريف بوشوشة من صفات دنيئة ،والتي من بينها أنه "راع" وشريف مزيف وأنه ليس من النبلاء ولا المرابطين [32]،ألقي عليه القبض سنة 1862م وسجن ببوخنفيس – ما بين سيدي بلعباس ووهران– ،لكنه تمكن من الفرار في السنة الموالية أي 1863م [33] واللجوء إلى منطقة فيقيق بعيدا عن عيون الفرنسيين .[34]

لم يلبث الشريف بوشوشة طويلا بفقيق فسرعان ما غادرها إلى نواحي توات أين بدأ يجمع الأتباع استعدادا لثورة محتملة ،وفي هذه الأثناء اندلعت ثورة أولاد سيد الشيخ 1864م فكان دور الشريف بوشوشة الاغارة على العدو والقوافل والقبائل التي تتعامل معه بتشجيع من سي لعلا كبير أولاد سيد الشيخ قبل أن يطلب من سي الزبير أن يعينه في قوات أولاد سيد الشيخ.

وظل بوشوشة يقاتل في صفوف أولاد سيد الشيخ حتى سنة 1970م – وهي السنة التي تراجع فيها قدور بن حمزة ولد سيد الشيخ إلى الحدود المغربية – أين اتجه نحو غزو الجنوب الشرقي بعدما كون فرقا خاصة به وأعلن نفسه شريفا وتلقب بمحمد بن عبد الله .هكذا جاء عند الأستاذ أبي القاسم سعد الله.[35] أما الأستاذ عواريب لخضر والذي اعتمد على الشهادة التي أملاها الشريف بوشوشة على سجانه فيذكر: « بعد خروج بوشوشة من السجن بدأ التحضير للثورة حيث اتصل بثوار أولاد سيد الشيخ الذين تقربوا منه وحاولوا منحه قيادة نصف جنودهم ولكنه رفض كون أولاد سيدي الشيخ كانوا سببا في سجنه ،ثم رحل إلى طرابلس الغرب في سنة غير معروفة قد تكون للبحث عن المال والسلاح أو تلقي تعليمات من الزاوية السنوسية على اعتباراته أحد أتباعها ،وخلال هذه الرحلة زار نفطة ،ثم عاد إلى الجزائر فزار العديد من المناطق مثل وادي ريغ وورقلة ،وحمل معه رسائل إلى بعض الشخصيات من المخادمة وبني ثور والشعانبة، الذين كانت لهم روابط مع الزاوية السنوسية والقادرية منذ ثورة محمد بن عبد الله ومنهم لخضر المخدمي، ولبزأحمد والشائب من الشعانبة والمصطفى من بني ثور، والخازن من عجاجة، كما أقام علاقات طيبة مع الزاوية الرحمانية في عين البيضاء وعجاجة ثم انتقل إلى الأغواط ومنها إلى توات، وحيثما حل استقبل بحفاوة ومتن علاقته بالزوايا والطرق الصوفية، وخلال تواجده بعين صالح أين كان يحضر نفسه للذهاب إلى غدامس، اتصلت به مجموعة من الثوار وهم معطالله بن بوظفر و وبوخشابة وهم من شعانبة ورقلة يصفهم لوشاتوليبي بالمداقنات، ويرى أنهم قطاع طرق كانوا يقومون بعمليات الغزو والنهب، ولكن الدارس للمكون الاجتماعي

لهذه الجماعة يرى أنها تضم العديد من الأبطال الذين عرف عنهم الجود والكرم والشجاعة، مثل أولاد باحمو من عين صالح أو أولاد لشهب من المنيعة وهذه الجماعة بدأت تشن حرب استفزاز على فرنسا وعملائها إذ لم تكن تغزو إلا العروش والقبائل التي تبث تورطها مع فرنسا، وحسب بوشوشة فإنه كان يرفض المشاركة في هذه العمليات ويطالب بأن يركز على العدو مباشرة، وكانت المجموعة تمنحه نصيبا من غنائمها ثم طلبت منه قيادتها فوافق مع اشتراط أن تكون العملية ضد فرنسا، ولعل هذا النصيب زيادة على ما كان يصله من مؤن وذخائر من مختلف القبائل والعروش كان النواة المادية الأولى لإعلان الثورة.

ومن عين صالح أعلن الشريف بوشوشة نفسه زعيما للثورة فبايعه شعانبة المواضي، ثم شعانبة ورقلة سنة 1870م وبذلك انتقل إلى المرحلة الثانية من مقاومته.»[36] وفي نظرنا فإن أولاد سيد الشيخ قد كلفوا الشريف بوشوشة بقيادة المقاومة بالجنوب الشرقي – بعدما طلب سي لعلا من سي زوبير بن حمزة تعينه – باعتباره من المنطقة ويعلم خباياها وكان قد شارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بها ،وإلا كيف نفسر انضمام الشيخ بناصر بن شهرة إلى مقاومته؟ ثم إن سي زوبير بن حمزة أصبح لاحقا من قادة جيشه ،وأما قضية تواجده بطرابلس الغرب فلا شك أن ذلك كان لتأمين السلاح ،وأما انفصاله عنهم فكان لغرض مواصلة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي.

بعد أن بايعته العديد من قبائل الجنوب الشرقي سنة 1870م دخلت مقاومة الشريف بوشوشة مرحلة جديدة هي مرحلة القوة والانتصار حيث سيطر على العديد من المدن كالمنيعة وورقلة والأغواط وتوقرت ومتليلي في الفترة ما بين 1870م و1872م في هذه السنة الأخيرة وصل الجنرال دولاكروا إلى ورقلة التي انتقم من أهلها فنكل بهم وأعدم الكثير منهم وغرمهم جزاء مساندتهم للشريف بوشوشة ،وأمر العقيد قوم Gaume بملاحقة الثوار الذي اتجهوا نحو الجنوب والتقى الطرفان في معركة غير متكافئة قرب حاسي تامزقيدة انسحب منها الشريف بوشوشة نحو أقصى الجنوب مخلفا وراءه عشر خيم وعدد من الجمال، وغنم الفرنسيون زمالته بما فيها من مؤن مع النساء ،والخدم ،والأطفال وقتل في المعركة عدد من الثوار منهم أحد أحفاد بن ناصر بن شهرة كما ألقي القبض على اثنين من كبار المقرانيين وكانت المعركة يوم 09 جانفي 1872م.[37]

بعد هذه هزيمة تفرقت أغلب فوات الشريف بوشوشة حيث لجأ الشعانبة إلى العين الطيبة بالجنوب ،وسي الزوبير من أولاد سيد الشيخ إلى عين صالح، ولجأ بناصر بن شهرة ومعه بعض المقرانيين إلى تونس ،وأما الشريف بوشوشة فعاد إلى مواصلة المقاومة بعد استجماع قواه **حيث ظهر** في جويلية 1873م بين البيض والأغواط، ثم في المنيعة، محاولا استرجاع ورقلة لكنه فشل في ذلك أمام قوات السعيد بن إدريس أخ آغا ورقلة. وحاول العودة إلى النشاط من جديد انطلاقا من عين صالح في مارس 1874 لكنه إنهزم مرة أخرى في معركة ملوك،وأسر من طرف القائد المعراج بن قدور ،ونقل إلى قسنطينة أين أحيل على المجلس العسكري وحوكم كمجرم حرب وحكم عليه بالإعدام الذي نفذ فيه يوم 29 جوان 1876م بمعسكر الزيتون.[38]

هذه سيرة ومسيرة لبطلين من أبطال الجزائر الأشاوس الذين باعوا انفسهم لله من أجل هذا الوطن وقفنا من خلالها على مجموعة من الحقائق التي تثبت وبالدليل القاطع أن البطلين الشيخ بناصر بن شهرة والشريف بوشوشة كانا أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية المتمثلة تحرير الجزائر من قبضة الاحتلال الفرنسي ،وللروح الوطنية التي رضاعها مع حليب أميهما ونمت معهما في كل شبر وطئاه من أرض الجزائر .

فالشيخ بن ناصر بن شهرة كان بإمكانه أن يعيش هو عائلته في أمن وأمان لو رضي بأن يكون آغا على قومه الأرباع باسم السلطات الاستعمارية الفرنسية ،لكنه رفضها رغم أنها إرث أجداده ورضي بأن يعيش مجاهدا طريدا يبحث عن الحرية ،لا يهمه إن كان قائدا أو جنديا ،ولا يهمه لمن ينسب الناس المقاومة وباسم من يكتبها التاريخ ،فالأهم عنده هو أن يقاوم المحتل الغاصب ،لذلك لا غرابة في أن نجده يقاوم في صفوف قوات الشريف محمد بن عبد الله ،ثم مقاوما في صفوف أولاد سيد الشيخ ،وبعدها يلتحق بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر ،ليلتحق بالشريف بوشوشة ويقاوم تحت سلطته وهو يقارب السبعين من عمره وبوشوشة

لم يبلغ الخمسين بعد .إنه رجل ضحى بأسرته من أجل قضيته حين طلق زوجته لما رفضت الرحيل معه لأنه لا يرضى العيش تحت حكم المحتل على حد قول الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ،وحين اتهم بمحاولة اغتيال الشريف بوشوشة طمعا في ثمانين ألف فرنسي برأه لوي رين الفرنسي حين أكد أن المبلغ كان مع بناصر بن شهرة وكان يمكن أن يغريه دون محاولة الاغتيال.[39]

وأما الشريف بوشوشة فقد وهب نفسه للجزائر وقضيتها ،فقد ناوش القوات الفرنسية وأغار على القبائل الموالية لها ،وهذا ما جعل السلطات الاستعمارية تصفه بأقبح النعوت عندما جعلت منه لصا وصعلوكا قاطع طريق ،وقد سجن وهو بن الخامسة والعشرين ،وشارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله قبلها بسنة ،وبعد فراره من السجن التحق بمقاومة أولاد سيد الشيخ منذ اندلاعها ،وظل يقاوم الاحتلال مدة عشر سنوات أضاق خلالها فرنسا وأتباعها الويلات ،ولما لم يقدروا عليه وصفوه بالراعي والشريف المزيف لينفض الناس من حوله ،رفض الاستلام وأسر وهو مصاب يقاتل .قال عنه الفرنسيون بأنه كان يخبئ قلبا من البرونز وطاقة من حديد ،شجاع ذكي ،لو تبنى القضية الفرنسية لقدم لها خدمات كثيرة[40] ،لكنه آثر خدمة وطنه وقضيته التي وهب نفسه لها.

عش عزيزا أو مت وأنت كريم *** بين طعن القنى وخفق البنود

هكذا هم أبناء الجزائر وأبطالها وهبوا أنفسهم لقضية وطنهم لا يدفعهم إلى ذلك إلا وطنيتهم وما تعلموه من دينهم منذ الأمير عبد القادر إلى أبطال ثورة نوفمبر 1954م مرورا بالشريف بن عبد الله والشيخ بناصر بن شهرة ،و الشريف بوشوشة ،وصولا إلى الشيخ آخموخ[41] والشيخ بيوض.[42]

الهوامش:

1- عن احتلال الجزائر ،الأسباب والدوافع ،والجذور و المراحل ،وردود الفعل. ينظر: محمد العربي الزبيري ،مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1972 ،ص ص 5-13 ؛صالح فركوس ،تاريخ الجزائر من ما قبل إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى ،دار العلوم ،عنابة ،الجزائر ،2005 ،ص ص 174-192.

2- شارل فيرو ،صحراء قسنطينة ،نقلا عن ،محمد العربي الزبيري ،المرجع السابق ،ص 80.

3- الزوايا عند أهل المشرق هي الربط والخوانق والخانقات ،وهي عند الفقهاء احتباس النفس للجهاد وحماية الثغور ،وعند المتصوفة هي الموضع الذي يلتزم فيه العبادة ،وأما الزوايا في بلاد المغرب فهي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين .ينظر: ابن مرزوق ،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن تحقيق ماريا خيسوس ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1981 ،ص 413. وهي أبنية للتدريس الابتدائي وحفظ القرآن الكريم ،فيه مساكن للطلبة ،وقسم لنزول المسافرين ،كما توجد بها مساجد الوعظ والدروس .ينظر:عبد العزيز الشهبي ،الزوايا والصوفية والعزابة ،والاحتلال الفرنسي في الجزائر ،دار الغرب ،الجزائر ،2007 ،ص 37.

4- محمد علي دبوز ،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،ج1 ،نشر وزارة الثقافة ،الجزائر ،2007 ،ص 51.

5- عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج5 ،ط8 ،شركة دار الأمة ،الجزائر ،2007 ،ص 182.

6- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ،ج1 ،طبعة خاصة ،عالم المعرفة ،الجزائر ،2009 ،ص 278.

7- لقد أدرك الأمير عبد القادر هذه الحقيقة فاتخذ من الجنوب الجزائري عمقا استراتجيا لمقاومته بأن جعله جزءا من دولته وقسمه إلى مقاطعتين هما: مقاطعة الجنوب الشرقي وقاعدته بسكرة وولى عليها فرحات بن السعيد ثم الحسين بن عزوز خليفتين له ،ومقاطعة الجنوب الغربي وقاعدتها الأغواط وولى عليها قدور بن عبد الباقي خليفة له ،حيث وبعد مدة قصيرة أصبحت قواته تسطر فعليا على كامل المنطقة الجنوبية.ينظر في ذلك: صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 202 ؛محمد العربي الزبيري ،المرجع السابق ،ص 15،16 ؛اسماعيل العربي ،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1982 ،ص 220،221.

8- الأرباع حسب ابراهيم الساسي العوامر من العرب القحطانية فهم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007 ،ص 376.

9- تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بن إبي صالح موسى الحسني المزداد 471هـ/1079م والمتوفى ببغداد سنة 561هـ/1166م ،وهي من أقدم الطرق الصوفية ظهورا في العالم الاسلامي .توجد الزاوية الأم للطريقة بغداد ،ويعتبر الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول من أسس فرعا للطريقة القادرية بالجزائر سنة 1200م .،وتعتبر القادرية الطريقة الأم لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها. ينظر: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج4 ،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998 ،ص 42،43 ؛عمار هلال الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا الصحراء ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة ،الجزائر ،1899 ،ص 109.

10- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

11- المخادمة من العرب الهلالية الذين استقروا بمنطقة ورقلة سميوا كذلك نسبة لجدهم مشرف أبو مخدم ،يعود نسبهم إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ينظر: ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 371.

12- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 182.

13- نفس المرجع ،ص 183.

14- صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 274،273.

15- هو أبو الطيب ابراهيم بن أحمد يعود أصله إلى أسرة عريقة يصل نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء رضي الله عنها ،وينحدر ليصل إلى جده أبيه الشيخ العلامة محمد بن عيسى دفين تلمسان ،قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بالجنوب الشرقي الجزائري بعد عودته من الحج بداية من سنة 1951م. للمزيد عنه ينظر: يحي بوعزيز ،كفاح الشريف محمد بن عبد الله ،مجلة الثقافة ،عدد 33 ،السنة 6 ،1976 ،ص ص 11-24 ؛العربي منور ،تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،الجزائر ،2006 ،ص 200، 201.

16- العربي منور ،المرجع السابق ،ص 201.

17- اندلعت هذه المقاومة من طرف أولاد سيد الشيخ فرع الشراقة تحت قيادة زعيمهم سي سليمان بن حمزة. للمزيد عن هذه المقاومة ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص ص 179-189 ؛العربي منور ،المرجع السابق ،ص ص 211-213 ؛صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 234 ،235.

18- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 184.

19- نفس المرجع الصفحة نفسها.

20- صالح فركوس ،المرجع السابق ،ص 235.

21- من الزعامات التي التقى بها الأمير محي الدين كذلك الشيخ مصطفى بن عزوز مقدم الزاوية الرحمانية بنفطة والذي كان قد فتح زاويته لكل الجزائريين المنفيين من طرف الادارة الاستعمارية أو الفارين من اضطهادها ،وكذلك محمد بن العشابي البسكري والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي غين كاتبا للأمير محي الدين ومحررا لرسائله ،ومحمد بن أحمد الصغير ابن خليفة الأمير عبد القادر السابق على الزيبان وسيدي عقبة ،ومحمد بن علاق رئيس أولاد يعقوب. ينظر:يحي بوعزيز ،ثورة 1971 (دور عائلتي المقراني والحداد) ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1975 ،ص 165 ؛عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص 185.

22- عن رسائل الأمير محي الدين والشيخ بن ناصر بن شهرها وتأثيراتها على الجزائريين ،وعلى السلطات الاستعمارية ،وموقف والده منها ينظر: يحي بوعزيز ،ثورة 1971 ،ص ص 166-173.

23- Louis Rinn ,Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie, Alger, 1891, pp 105-108.

24- عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع السابق ،ص185 .

25- L. Rinn ,op cit ,p 138,139 et p 90 et pp 105-108.

26- كان عدد المقرانيين الذي التجأوا إلى تونس اثر معركة عين الطيبة بالجنوب الشرقي في 17 جانفي 1872م حوالي خمسمائة شخص مقسمين على حوالي مائة عائلة صغيرة .ينظر: يحي بوعزيز ،ثورة 1971 ،ص 329.

27- ابراهيم محمد الساسي العوامر ،المرجع السابق ،ص 318 ،هامش 1.

28- يحي بوعزيز ،وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة ،مجلة الثقافة ،عدد 31 ،السنة 6 ،1976 ،ص ص 39-48.

29- الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

30- رضوان شافو ،الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854-1874م ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 12 ،هامش 4.

31- رضوان شافو ،المرجع السابق ،ص 12 ،هامش 4.

32- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 277.

33- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278 ؛رضوان شافو ،المرجع السابق ،ص 12 ،هـ 4.

34- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 278.

35- نفسه ،ص 278 ،279.

36- لخضر عواريب ، بعض الحقائق عن مقاومة الشريف بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية ومنها الشهادة التي أملاها بوشوشة على سجانه ،مجلة كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ،عدد 14 ،مارس 2014 ،ص 3،4.

37- نفس المرجع ،ص 6.

38- بعد انهزام قوات بوشوشة في المعركة انسحب منها جميع أتباعه ولم يصمد معه إلا القليل لا يتجاوز الخمسة عشر ،وبينما هم يطلقون النار أصيب بوشوشة في رجله إصابة بليغة لم يقوى على النهوض بسببها فتمكن القايد المعراج بن قدور من القاء القبض عليه .وقد واجه الشريف بوشوشة الموت بشجاعة وصلابة وعزيمة حين نفذ فيه حكم الاعدام .عن ظروف أسر بشوشة ومحاكمته وظروف اعدامه ينظر: أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 285 ،286 ؛ L.Rinn ,op.cit ,pp 578-590 ؛لخضر عواريب ،المرجع السابق ،ص 6.

39- لخضر عواريب ،المرجع السابق ،ص 6.

40- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ،ج1 ،ص 286 ،287.

41- الشيخ آخاموخ باي من أعلام الطوارق وقائدهم ،يتمتع باحترام سكان المنطقة ،لعب دورا كبيرا في مواجهة سياسة ديغول في المنطقة .توفي سنة 1975 ،حيث وفي سنة 1960م عرض الوزير الأول ميشال دوبري في اجتماع جمعه بأعيان الطوارق من الجزائر ومالي والنيجر والتشاد بتمنراست على الشيخ آخاموخ منصب سلطان دولة اسلامية تضم كل الطوارق فرض ذلك قائلا له: "... أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين... " وخلال احتفالات العيد الوطني الفرنسي في 14 جويلية 1960م أعاد ميشال دوبري على الشيخ آخاموخ نفس العرض فأجابه:"... نحن جزء من الجزائر وهي مستعمرة وسنبقى جزاء منها عندما تستقل...". ينظر: : الهادي درواز ،الولاية السادسة التاريخية (1954-1962) ،تنظيم ووقائع ،دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2009 ،ص 133 ؛بلال صديقي ،المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية (154-1962) ،مذكرة ماجستير ،جامعة وهران ،2010 ،ص 46 .

42- الشيخ بيوض من مواليد 22 ابريل 1899 بالقرارة من ميزاب ،من أئمة جمعية العلماء المسلمين ،وعضو جهازها التنفيذي المؤقت له عدة مؤلفات منها تفسير القرآن الكريم توفي في 14 فيفري 1981 .ينظر: شرفي عاشور ،قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962) ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2007 ،ص 104 .